هل الحجّاج بن يوسف من ثقيف؟

حامد العولقي

بسم الله الرحمن الرحيم

هل الحَجّاج من ثقيف؟

مشهور أن الحجاج الثقفي من قبيلة ثقيف، ولكن سيرته مشحونة بمعنى أنه **يثقف** من عصاه ومن حاربه (يظفر بهم). فهل الحجاج ثقفي من معنى **الثقف** (الظفر والأخذ والضبط والتقويم) الذي ارتبط بوضوح بسيرته.

الثقفي يثقف العُصاة

لعل الحجاج لُقِّب بالثقفي لأنه (**يثقف**) العاصي أي يأخذه[1] ويظفر[2] به. والرجل الثقف سريع الاختطاف (رجل ثقف لقف، أي سريع الاختطاف)[3]، وكذلك الحجاج سريع الخطفة كما قال (اتقنى فإنى سريع الخطفة للاحمق المتهور)[4]. فالحجاج ثقفي لأنه ثقيف ثقف. والذي قال (يؤدبني الحجاج .. وإنى لاخشى ضربة ثقفية)[5]، لعله أراد أن ضربة الحجاج خاطفة سريعة الأخذ محكمة كضربة الهر (وَيَضْرِبُنِي أَثْقَفَ مِنَ الْهِرِّ)[6]. فالحجاج لا يفلت من ثقفه هارب (واحذر أن تعلقك حبائل الحجاج أو تحتجنك محاجنه)[7]. واعترف من طلبهم الحجاج أنه لابد يثقفهم[8]: (وددت مخافة الْحَجَّاج أني ... بكابل فِي است شيطان رجيم، وددت مخافة الحجاج أني ... مَعَ الحيتان فِي بحر أعوم)[9]، (إني من الحجاج لست بناج)[10]، (والله إن لو كنت في السحاب

---

[1] تاج العروس : ثَقِفَهُ في مَوْضع كَذا: أَخَذَهُ/ مقاييس اللغة : أَلِيَس إذا ثقفَهُ فقدْ أمْسكهُ/ تفسير السمعاني : فلان ثقف لقف، إذا كَانَ سريع الْأَخْذ/ تفسير ابن عطية : ثقف أخذ بسرعة

[2] مقاييس اللغة : ثَقِفْتُ به إذا ظَفِرْتَ به / المحكم –ابن سيده: وثقف الرجل: ظفر به، وفي التَّنْزيل: (واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثقفتموهم) .

[3] حياة الحيوان– الدميري: رجل ثقف لقف، أي سريع الاختطاف/ زهر الأكم – اليوسي:أثقف من سنور .. وهو في الخفة وسرعة الاختطاف النهاية/ المستقصى - الزمخشري : أَثْقَفُ منَ السِّنَّور : أي اسرع أخذا من قولهم رجل ثقف لقف إذا كان سريع الأخذ لقرنه في الحرب

[4] شرح نهج البلاغة: فقال الحجاج : اتقنى فإنى سريع الخطفة للاحمق المتهور

[5] شرح نهج البلاغة : يؤدبني الحجاج تأديب أهله * * فلو كنت من أولاد يوسف ما عدا وإنى لاخشى ضربة ثقفية * * يقد بها ممن عصاه المقلدا

[6] الأخبار الموفقيات والجليس الصالح / جمهرة الأمثال – العسكري: أثقف من سنور، وَذلِكَ أَنَّها إذا وثبت على الْفَأْرَة وَلم تخطئها

[7] الأغاني/ وحجن كمعنى ثقف |المخصص –ابن سيده : حَجَن المالَ ثقفَ مصلحته|، ونرى اجتماع حجن وثقف في اسم أبي محجن الثقفي

[8] تفسير القرطبي: وفلان ثُقف لَقف أي سريع الوجود لما يحاوله ويطلبه

[9] أنساب الأشراف للبلاذري

[10] تاريخ دمشق لابن عساكر : وعلمت أني إن كرهت نزاله * إني من الحجاج لست بناج

هاربا من الحجاج ليلتمسن أن يصل إليك حتى يهلكك أنت ومن معك)[1]، (هأنذا ضاقت بي الأرض كلها ... إليك وقد جولت كل مكان)[2]، (فلو كنتُ في جَوّ السَّحاب محلِّقاً ... لخِلْتُك إلاَّ أن تصدَّ تَراني)[3]. ولو انقلب هارب كلباً لثقفه الحجاج[4] (قبض عليه)[5]. واستجار أحدهم بقيصر فظن يد الحجاج لن تثقفه (وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ تَنَالَنِي ... نَشَاطٌ)، فهدد الحجاج قيصر وثقفته يده (فَعَطَفَ عَلَيْهِ يَدَهُ ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ نَشَاطُكَ الْعُرَيْضُ؟) وثقف محجنُ[6] الحجاج رقبته[7]، فقال (فلو كنت في سلمى أجاً وشعابها ... لكان لحجاج علي دليل)[8]. ولمبلغ قدرة الحجاج على ثقف خصمه ظن أهل الكوفة أنه قهرهم باسم[9] من أسماء الله. وبلغت أعداد من ثقفهم (حبسهم وأسرهم واعتقلهم)[10] من المسلمين أرقاماً مهولة[11]. وأما من ثقف رؤوسهم[12] فقيل مليوناً[13] (إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها)[14] وقيل أكثر من مئة ألف[15]. واسم الحجاج (كليب) لعله لقب، وكأنه كَلِب (حريص مُلِحّ ملازم على ثقف العصاة لا ينفكّ) أو به كَلَب (سعار) لكثرة سفكه الدماء[16]. فالحجاج ثقف الرقاب (كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم)[17]، كأنه ملك[18] (وعضّ ثقاف الملك كلّ مخالف)[19]. وقال عمر بن عبد العزيز (إذا أتت قوم فارس بأكاسرتها، والروم بقياصرتها أتينا بالحجاج فكان عدلا بهم)[20].

---

[1] تاريخ الطبري

[2] الأغاني

[3] حماسة الخالديين / بصائر ذوي التمييز : وثِقفه .. أو أدركه ببصره لحِذْق في النظر.

[4] تاريخ ابن عساكر : أن رجلا هرب من الحجاج فمر بساباط فيه كلب .. فقال يا ليتني كنت مثل هذا الكلب فما لبث أن مر بالكلب في عنقه حبل فسأل عنه فقالوا جاء كتاب الحجاج بقتل الكلاب

[5] الأوراق قسم أخبار الشعراء – الصولي: تقبضهن يد ثقفة

[6] جمهرة اللغة : وكل عود مَعْطُوف الرَّأس: محجن.

[7] الأغاني: الحجاج: ... فلوى قضيب خيزران كان في يده في عنقه، وجعل يقول: إيه بساط لأيدي الناعجات عريض فقال: لا بساط إلا عفوك

[8] الإشراف لابن أبي الدنيا/ الأغاني - أبو الفرج الأصبهاني

[9] تاريخ دمشق لابن عساكر : خطب الحجاج الناس بالكوفة .. وتزعمون أن الله عز وجل علمني اسما من اسمائه اقهركم به.

[10] أحكام القرآن لابن العربي : ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ .. وهو عندي بمعنى الحبس ومنه رجل ثقف أي يقيد الأمور بمعرفته/ تفسير القرطبي :ومعنى" تثقفنهم" تأسرهم وتجعلهم في ثقاف/ الإحاطة في أخبار غرناطة: قبض عليه وثقّفه، وشدّ عليه يده/ مسالك الأبصار : فأمسكه وكبّله بالحديد، وثقفه

[11] تاريخ ابن عساكر :أطلق سليمان بن عبد الملك في غداة إحدى وثمانين ألف أسير .. وعرضت السجون بعد الحجاج فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا لم يجب على أحد منهم قطع ولا صلب ... مات الحجاج بن يوسف وفي سجنه ثمانون ألفا محبوسون منهم ثلاثون ألف امرأة

[12] الأوائل للعسكري : أول رأس ثقف في الاسلام ... وقدمه فضرب عنقه، وثقف رأسه، وحمله الى معاوية

[13] صبح الأعشى: أربعة في الإسلام قتل كل واحد منهم أكثر من ألف ألف رجل وهم الحجاج بن يوسف

[14] الكامل في اللغة والأدب -المبرد

[15] [المنتظم في تاريخ الملوك: وَقَالَ الْحَجَّاجُ لِيَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ: كَمْ قَدْ قَتَلْنَا فِي الظَّنَّةِ؟ قَالَ: ثمانين ألفا/ كان الحجاج .. وقتل الخلق الكثير يحتج عليهم بأنهم خرجوا على عبد الملك]/ تاريخ ابن عساكر :قيل لي في النوم .. اياك والصلاة خلف الحجاج فإني أقسمت لأقصمنه كما قصم عبادي

[16] نهاية الأرب : الحجاج بن يوسف الثقفي ... واسرف في القتل حتى بلغ عدد القتلى ما يخرج عن الحصر.

[17] تاريخ الطبري

[18] المعارف –ابن قتيبة: ولمّا حضرته الوفاة، قال للمنجّم: هل ترى ملكا يموت؟ قال: نعم. .. أرى ملكا يموت يسمّى «كليبا» . قال: أنا والله كليب

[19] الإحاطة في أخبار غرناطة- السّلماني

[20] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

الثقفي كلما حارب أحداً ثقف رأسه

الحجاج داهية حرب ثقف (رَجُلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ، للرَّجُلِ يُبْصِرُ مواضعَ الضَّرْبِ في القِتالِ)[1] **يناور ويكر ويفر حتى يثقف خصمه** (أنَّ ابْنُ يُوسُف حازم مَنْصُور)[2]، (وقول الحجاج: أنا حدياً الظبي .. فإنه أراد إنَّا لثقتنا بالغلبة والاستعلاء، والإحاطة والاستيلاء)[3]. **وكأن الحجاج كما قال طرفة** (أنيَّ بحَرْبك عالِمٌ ثَقِف)[4]، **أو كما وصف معاوية بأس علي** (لم أر من الناس أحدا قطّ أثقف منه)[5]. **والحجاج في سلمه وحربه، ذو ثقف وثقاف** (خصام وجلاد)[6]. **وهذه حروب الحجاج التي ثقف فيها خصومه** (ظفر بهم)[7]: **ففي سنة ٧٣ هـ ثقف الحجاج رأس الخليفة ابن الزبير** (بعث الحجاج برأس ابن الزبير)[8]. **وفي سنة ٧٥-٧٦ هـ ثقف الحجاج رأس ابن الجارود** (وأتي الحجاج برأس عَبْد اللهِ بْن الجارود)[9] **الذي كاد ينتصر عليه** (وَكَانَ الحجاج قد يئس من الحياة .. وقد كَانَ هم باللحاق بعَبْد الْمَلِكِ)[10]. **وفي سنة ٧٦ هـ ثقف الحجاج رأس شبيب** (فغرق شبيب ..فأخرجوه من الماء واحتزوا رأسه، ووجه به سفيان إلى الحجاج)[11]. **وشبيب دعا نفسه خليفة وهزم الحجاج عشرين مرة**[12] **وحاصر قصره** (ووقفوا بباب قصر الحجاج .. ولم يجسر الحجاج أن يفتح باب قصره إلى أن انصرفوا)[13]. **وفي سنة ٧٩ - ٨٠ هـ ثقف الحجاج رأس قطري الذي أعلن نفسه خليفة عشربن سنة**[14] (فخرج برأس قطري حتى قدم به على الحجاج)[15]. **وفي سنة ٨٣هـ ثقف الحجاج رأس ابن الاشعث** (وحمل رأس ابن الاشعث الى الحجاج)[16] **الذي خلع الحجاج والخليفة**

---

[1] ديوان الأدب – الفارابي/ الدلائل - السرقسطي: ثَقْفٌ، أَيْ لَبِقٌ خَفِيفٌ جَيِّدُ التَّحَرُّف/ تفسير الثعلبي : رجل ثقف لقف إذا كان حاذقا في الحرب بصيرا بمواضعها جيد الحذر فيه

[2] أنساب الأشراف للبلاذري

[3] الجليس الصالح– ابن زكريا

[4] غريب الحديث للخطابي : قَالَ طَرَفَةُ:أَوَما عَلِمْتَ غَداةَ تُوعِدُني ... أنيّ بحَرْبك عالِمٌ ثَقِفُ

[5] التذكرة الحمدونية : عليّ بن أبي طالب غلاما ليثا .. لا يلبث له أحد إلّا قتله، ولا يضرب شيئا إلا هتكه، لم أر من الناس أحدا قطّ أثقف منه

[6] لسان العرب : الثَّقَف والثِّقافُ .. يَعْنِي الخِصامَ والجِلادَ.

[7] جمهرة اللغة : وثقفت الرجل إذا ظَفرت بِهِ. وَفِي التَّنْزِيل: ﴿فإمّا تثقفنهم في الْحَرْب﴾ .

[8] تاريخ الطبري

[9] أنساب الأشراف للبلاذري

[10] أنساب الأشراف للبلاذري

[11] الفتوح لابن أعثم

[12] الفرق بين الفرق : هزم للحجاج عشْرين جَيْشًا فِي مُدَّة سنتَيْن

[13] البدء والتاريخ : ونادته غزالة يا حجاج هل لك في البراز فهابها وتحصّن ... فدخلت مسجد الكوفة وبالت على المنبر ..

[14] المعارف: قطريّ بن الفجاءة... فبقي عشرين سنة يقاتل، ويسلّم عليه بالخلافة./ البدء والتاريخ : قطري ..وقاتلهم عشرين سنة يدعي الخلافة

[15] تاريخ الطبري

[16] تاريخ خليفة بن خياط

وتصادما في ثمانين معركة[1]. فقال أعشى همدان (وَمَا زَاحَفَ الْحَجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتَهُ ... مُعَانًا مُلَقًى لِلْفُتُوحِ مُعَوَّدَا)[2].

ثقف الثقفي أمر العراق

ومن أسباب تسمية الحجاج بالثقفي، أنه ثقف (ضبط) أمر العراق (رجُلٌ لَقْفٌ ثَقْفٌ : إِذا كان ضَابطاً لما يَحْوِيهِ قائماً به)[3]، ولأنه ثقّف[4] (قوّم وسوّى) أود وميل وعوج[5] العصاة (إن ابن يوسف ... أحيى العراق وقد مالت دعائمه)[6]، (فاستقامت العراق جميعا للحجاج)[7].

الثقفي المُعلِّم المُؤدِّب

الجذر (ثقف) مرتبط بالفهم والعقل (الحجاج .. عقولهما كانت ترجح على عقول الناس)[8]، (ووصف بعضهم الحجاج بالعقل ..وقال بعضهم ما دخل العراق أكثر أدباً من الحجاج)[9] والتعليم[10]. فلعل الرواة اعتبروا هذا الثقفي كان معلماً بالطائف لأنه أدب المخالفين (يؤدّبني الحجاج تأديب أهله)[11]، (قال الحجاج .. و الله لأؤدبنكم غير هذا الأدب)[12]، وأقام عوجهم[13] طيلة ملكه (ثقف الشَّيْء أَقَامَ المعوج مِنْهُ وسواه وَالْإِنْسَان أدبه وهذبه وَعلمه)[14].

حامد العولقي

---

[1] الوافي بالوفيات - الصفدي : وكانت بينه وبين ابن الاشعث ثمانين وقعة

[2] تاريخ الطبري

[3] تاج العروس / تفسير ابن عطية : رجل ثقف لقف إذا كان محكما لما يتناوله من الأمور/ الذخيرة - الشنتريني:ضبط الأمور ثقافة

[4] تاج العروس : وثَقَّفَهُ تَثْقِيفاً: سَوَّاهُ، وقَوَّمَهُ / العقد الفريد : الأدب لم يثقّف أودكم/ خريدة القصر: والزمان يثقف المتأود/ غريب الحديث لابن قتيبة : وَأَقَام أوده بثقافه أَي: عوجه بثقافه/ المعجم الوسيط : (ثقف) الشيء أقام المعوج منه وسواه

[5] خريدة القصر : فليعتدلْ كلُّ رأسٍ مائلٍ صَغراً ... من قبلِ عضّ ثقافِ المَيْلِ والعَوجِ

[6] الفتوح لابن أعثم

[7] الفتوح لابن أعثم: فاستقامت العراق جميعا للحجاج. فلم يكن أحد يناويه ولا يخرج عن طاعته/ الأمثال للهاشمي : دردب لمّا عضّه الثّقاف. أي استقام لما قوّم. يضرب مثلا للرّجل يمتنع ممّا تريده منه، حتّى إذا أذللته انقاد وأطاع.

[8] تاريخ ابن عساكر : ما رأيت عقول الناس إلا قريبا بعضها من بعض إلا الحجاج وإياس بن معاوية قال عقولهما كانت ترجح على عقول الناس

[9] ديوان المعاني - أبو هلال العسكري

[10] أساس البلاغة: أدبه وثقفه. ولولا تثقيفك وتوقيفك .. وهل تهذبت وتثقفت إلاّ على يدك/ تاج العروس : التَّثْقِيفُ: التَّأْدِيبُ والتَّهْذِيبُ

[11] الكامل في اللغة والأدب –المبرد/ شرح نهج البلاغة

[12] شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد

[13] مقاييس اللغة:ثَقَّفْتُ الْقَنَاةَ إِذَا أَقَمْتَ عِوَجَهَا/بغية الطلب:وثقف مني مائلا/الوافي بالوفيات:وثُقِّفَ ذَاكَ الزَّيغُ/صبح الأعشى:وثقّف أود الأيام

[14] المعجم الوسيط